

مُشكلة الموت في فلسفة عبد الرحمن بدوي - دراسة تحليلية

أ . محمد دروخ ناجم عبد الله - كلية التربية الشاطيء - جامعة وادي الشاطيء

المُلخَص:

إنَّ الموتَ مرحلةٌ يمرُّ بها الإنسانُ وحقيقة لا يتخطاها، وكأس يتجرعها ومنهل يستقي منه ، وللموت حكم كثيرة ففيه يتجلى كمال قدرة الله الخالصة - سبحانه وتعالى - عظيم في حكمته وفي تصريف أطوار الخلق، فهو أنشأ هذا الإنسان من عدم ثم أوجده طورا بعد طور وخلقاً بعد خلق حتى صار بشراً سوياً يسمع ويبصر ويعقل ويتكلم ويتحرك. ويعتبر الموت في وقتنا الحاضر من أكثر المشاهد لارتباط الموت بالحروب والأوبئة والمذابح الجماعية والأمراض والعنف والقتل، وهذه المشاهد تقدم وصفا متنوعا للموت . وقد شغلت قضية الموت والخلود إذهان المفكرين والفلاسفة على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم منذ فجر التاريخ لما له من أهمية كبيرة تتعلق بحياة الناس ومصيرهم بعد الموت فكانت بداية التفكير بطرح أسئلة بماهية الموت وكيفية حدوثه ومصير الإنسان بعد الموت ونتجت عن ذلك آراء فلسفية متعددة ومتنوعة .

ويعتبر عبدالرحمن بدوي من أهم المفكرين الذين تناولوا مشكلة الموت فيقول : إن الموت ليس مُشكلة للإنسان البدائي فقط ذلك الإنسان الساذج لكونه يمتلك شعورا ضعيفا بالشخصية ، بينما نجد أن من يكون ليس لديهم الموت مشكلة هم على درجة عالية من الإحساس هي مقياس التحضر في ما يخص الشعور بالموت والفردية . ومن هذا المنظور سعى عبدالرحمن بدوي لتأسيس مذهب عام في الوجود على أساس هذه المشكلة حيث أنه أراد أن ينطلق من الموت بوصفه مشكلة جزئية من مشاكل الوجود إلى بحث شامل في الوجود وهناك بعدان رئيسيان يحكمان رؤية بدوي لهذه المشكلة هما البعد الوجودي الذي يستمد من تصورات فلسفة هايدجر لمشكلة الموت - والبعد الحضاري الذي يعتمد بشكل مركزي على مقولات فلسفة شبنجلر في مسألة موت الحضارة ، وتمثلت مشكلة الدراسة الرئيسية في البحث في ما يعانيه الإنسان من خوف وجودي حول مصيره ، ومآله ، ولما عاشه من حربين عالميتين مدمرتين ، وكذلك الموت كمشكلة وإشكالية في وجودية عبدالرحمن بدوي وهذا يُمثل الإشكال الرئيسي للدراسة من خلال ما يعترى الوجود الإنساني من مشكلات كالموت والقلق

الكلمات المفتاحية : الوجودية- الموت – الفناء -الخلود - مشكلة – الحرية – الاختيار – تأويل - فلسفيا
المقدمة :

لا شك أنه أثبتت العديد من التساؤلات حول مسألة الموت لمعرفة أسرارها وطريقة معالجتها التي تختلف باختلاف الزمان والمكان، فكانت تمثل الواقعة الحاسمة والسبيل لتجنبها أو التنبؤ بها ، وذلك لطبيعتها المعقدة ؛ إذ ينظر لها الإنسان بنظرة تشاؤمية نتيجة لما تولده من خوف وقلق ، بالإضافة إلى اعتبار الموت مشكلة فلسفية عاجلها العلماء والفلاسفة ورجال الدين وغيرهم من المفكرين ؛ إذ يمكن الإشارة إلى ما ذهبت اليه الفلسفة الوجودية حول مشكلة الموت وذلك من خلال ما قدمه الفلاسفة الوجوديين ، أمثال مارتن هيدجر ، وجون بول سارتر ، وبد الرحمن بدوي وهذا الأخير طرح مذهب فلسفي شامل على أساس مشكلة الموت وهذا الأساس والمذهب ينقسم إلى أربعة اقسام :

1- الأول بعنوان ظاهريات الموت ويتناول الموت من الناحية النفسية

2- الثاني بعنوان تقويمية الموت ويتناول الناحية الأخلاقية

3- الثالث بعنوان الهيات الموت

4- الرابع يتناول ناحية الوجود أو وجوديات الموت

وانشاء هذا المذهب مشروط لديه بان تكون الناحية الوجودية هي الأساس في كل بحث

مشكلة الدراسة :

موضوع الدراسة هو الموت كمشكلة وإشكالية في وجودية عبد الرحمن بدوي جاءت هذه نتيجة لما يعانيه الإنسان من قلق وجودي حول مصيره ، ومآله ، ولما عاشه من حربيين عالميتين مدمرتين، فالوجودية كمذهب ظهرت بمثابة تيار يهتم بالوجود الإنساني وما يعتريه من مشكلات كالموت والندم والقلق وعلى هذا أصبح الاهتمام بحياة الإنسان

والتساؤل حول موته يمثل الإشكال الأساسي للدراسة من خلال طرح عدة تساؤلات ما هو جوهر مشكلة الموت ؟ ومتى يكون الموت مشكلة ؟ ومتى يكون إشكالية ؟ وكيف تم تأويل الموت دينيا وفلسفيا؟ وهل استطاع بدوي تجاوز أفكار هيدجر وقدم مذهباً جديداً ومخالفاً لسابقه؟

إن أهمية هذا الموضوع كانت سبباً ودافعا في دراسته للاطلاع على فكرة الموت والتعمق في مضمونها وسرّ خباياها، كما أن الموت يشكل حلقة جوهرية في مواضيع العلوم الإنسانية والاجتماعية بالإضافة إلى الهاجس الدائم والملازم للإنسان ومرادوة

الموت في أي لحظة. ولكي تجيب هذه الدراسة على الإشكالية المحورية مشكلة الموت وأثر الوجودية في فكر عبد الرحمن بدوي فاتبعت الدراسة المنهج النقدي التحليلي وكيف فرق بدوي بين الموت كمشكلة - والموت كإشكالية وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة مقدمة تم جمع فيها بين الإشكال الرئيسي للدراسة وأهمية وسبب تناول الموضوع باستخدام المنهج النقدي التحليلي لتحليل أفكار بدوي ونصوصه الفكرية.

المبحث الأول - مفهوم الموت وطبيعته :

يرد الموت بدلالات متعددة - الدلالة اللغوية، والدلالة البيولوجية، والدلالة النفسية إذ تختلف هذه الدلالات في مواطن وقد تتفق وتتداخل في أخرى.

أولاً - مفهوم الموت لغة واصطلاحاً :

1- الموت في اللغة : هناك إجماع في المعاجم العربية القديمة منها والحديثة على أن الموت ضد الحياة في أصلها اللغوي ، بيد أن له معانٍ أخرى لا تخرج عن دائرة الفناء والتلاشي كما جاء في لسان العرب. فالموت حسب ابن منظور: الموت خلق من الله تعالى، والموت والموتان ضد الحياة ورجل ميت وميت: وقيل الميت الذي مات، والميت المائت : الذي لم يمّت بعد.

ويقال: ميت وميت والمعنى واحد ويستوي فيه المذكر والمؤنث، وقيل الموت في كلام العرب يطلق على السكون، يقال ماتت الريح أي سكنت والموات بالفتح ما لا روح فيه والموت أيضاً: الأرض التي لا مالك لها من الأدميين، ولينتفع بها أحد، ورجل مؤتان الفؤاد: غير ذكي ولا فهم الموتة بالضم: جنس من الجنون والصرع يعترى الإنسان فإذا افاق عاد إليه عقله كالنائم والسكران، ورجل يبيع الموتان وهو الذي يبيع المتاع وكل شيء غير ذي روح وما كان ذا روح فهو الحيوان (1) ، ولم تكتف المعاجم العربية القديمة بتعريف الموت ؛ بل تطرقت كذلك إلى ذكر أنواعه من خلال الاستدلال بآيات القرآن الكريم، وهذا ما نجده عند الراغب الأصفهاني في كتابه : (المفردات في غريب القرآن) أن الموت عند الراغب الأصفهاني أنواع بحسب أنواع الحياة ، ويقول الراغب أنواع الموت بحسب أنواع الحياة وهذه الأنواع هي :

- 1- ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوانات والنبات نحو قوله - تعالى - : ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (2) ، وهذا النوع تشترك فيه كل المخلوقات
- 2- زوال القوة الحاسة قال - تعالى- : ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ﴾ (3)
- 3 - زوال القوة العاقلة وهي الجهالة نحو قوله - تعالى- ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّنًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (4)

4- الحزن المكدر للحياة وأياه قصد بقوله - تعالى - : (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) (5)

5- المنام فقيل النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل (6) وعلى هذا النحو سماها الله سبحانه وتعالى توفياً فقال الله - تعالى - : (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ) (7) ولم تنبذ المعاجم المعاصرة عن تعريف الموت في اللغة على انه ضد الحياة، وهو ما نجده على سبيل المثال عند جميل صليبا ومراد وهبة. لقد عرف صليبا الموت في قوله: هو عدم الحياة عما من شأنه ان يكون حيا، وهو نهاية الحياة والتقابل بينه وبين الحياة تقابل العدم والملكة (8)

والموت - أيضا - انقطاع كلي وهو تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب الأول ان بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه فهو اليقظة، وان انقطع ضوءها ظاهره دون باطنه فهو النوم أو بالكلية هو الموت (9) ، فالموت هو الفناء النهائي والتوقف الكلي عن الحياة ، ومعنى هذا النص أن النوم والموت صفة واحدة ، فنحن نموت كل يوم موتا مؤقتاً، فذلك هو موت إذ نجد الموت هو الانقطاع النهائي، بينما النوم هو الانقطاع الناقص، بالتالي توجد بينهما علاقة قوية ، والنوم واسطة بين الحياة والموت وهو بعينه رأي الغزالي، حيث ان النوم وفاة مثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والاخرة (10) ، فالموت والنوم من جنس واحد فنحن من خلال نومنا نموت موتا مؤقتاً، والنوم همزة وصل بين الحياة والموت، والغزالي هنا قام بتشبيه النوم بالموت، لذا نقول أن النوم مظهر من مظاهر الموت والواضح هنا أن الغزالي يستمد رايه من القران الكريم. والموت في حقيقته حياة ؛ لأنه لا يحتوي على مفاجأة يحدث داخلنا كل لحظة وحتى نحن أحياء (11)

ثانيا - لموت اصطلاحا : يعتبر الموت مفارقة الروح الجسد، كما يقول الأنصاري الحنفي : الميت حقيقة من مفارقتة روحه في اليقظة

1- المفهوم البيولوجي : نظراً لتطور علم البيولوجيا حدث تغير كبير في مفهوم الموت، حيث أصبح العلماء يتحدثون عن الموت السريري ، وموت الدماغ ، والموت الرحيم ؛ لذلك صار للموت مدلولاً علمياً محدداً

أ- الموت السريري : هو حالة الانعدام الفجائي لدوران الدم في الأوعية الدموية والتنفس والوعي (12) ، وهذا معناه توقف الوظائف الحيوية ، وانعدام الدورة الدموية، مما يؤدي إلى توقف القلب والدماغ عن العمل وفي هذه الحالة يدخل المريض في حالة الموت الدماغية، بسبب توقف ضخ القلب الدم (13)

ب- الموت الدماغي : والذي يسمى بالموت البيولوجي هو التوقف اللاعكسي لجميع وظائف المخ وجذع المخ هو الجزء الذي يتحكم في التنفس وغيره من وظائف الجسم الأساسية (14) وهذا معناه أن الموت هو الانقطاع النهائي والتام لكافة الوظائف الحيوية للكائن الحي ولجميع أشكال النشاط والوجود كافة .

ج- المفهوم السيكولوجي : الإنسان عند علماء النفس مكون من غريزتين غريزة الحياة وغريزة الموت، وتعد غريزة الموت غريزة تدميرية لدى العديد من علماء النفس من بينهم سيجموند فرويد الذي يرى أنها أشبه بدافع يوجه إلى الداخل بوصفه نزعة مدمرة للذات وتتمثل على نحو خاص في محاولات الانتحار الناجحة أو الفاشلة أو كتعاطي المخدرات والإهمال في النظام الصحي والغذائي، إلا أن هذا الدافع يتحول بعد ذلك إلى الخارج فيأخذ شكل مشاعر عدوانية منها الغضب والحقد هذا ما يهدف إلى الحاق الأذى والموت بالآخرين.

لذلك نجد غريزة الموت تكون في حالة صراع ومواجهة غريزة الحياة، وهذا ما يتمثل في مختلف أشكال العدوانية والمخاطر التي تتعرض لها الذات من الداخل والخارج، وتكون سبب في تدميرها، وهذا ما جعلها تسمى بالغريزة المدمرة.

أما غريزة الحياة فتسعى وتهدف إلى الموت كما يرى فرويد أن هدف الحياة هو الموت، وكل شيء عضوي يعود في النهاية إلى أصله غير العضوي وكل شيء متحرك يعود في النهاية إلى حالة السكون الأولى. وفرويد كثيرا ما يتكلم عن الموت أنه ذو دلالة جماعية، بينما الحياة تكون دلالة فردية لذلك يرى أن دوافع الحياة من أجل البقاء والجنس والإبداع ولأنقارن في قوتها بتلك القوة العارمة التي تكون عليها دوافع الموت ولا بحضورها الكثيف في حياة الإنسان في حروبه ومعاركه وجرائمه التي لا تنتهي (15)

ثانيا - طبيعة الموت وتأويله دينيا وفلسفيا :

1- **طبيعة الموت وتأويله دينيا :** لقد احتل الموت مرتبة هامة في أفكار العبرانيين القدامى لذلك قيل وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء الي الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للزدرء الأبدى وذلك بيرهن على فكرة الخلود والبعث لم تكن فكرة غريبة بالنسبة لليهود (16) وهذا يعني : أن شعب اليهود اهتموا اهتمامًا كبيرًا بالموت ، لذا كان له مكانة عالية في تفكيرهم وإيمانهم الكبير بثبوت الحياة الآخرة، والإيمان بخلود الروح والبعث. ويضرب الموت بجذوره التاريخية حتى يكاد مرادفا للحياة ذاتها، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت (17)

فمنذ بداية الحياة وخلق الإنسان آدم وحواء ومنحهما نعمة الحياة ، ووضعهما في جنة أعد لهما فيها من الخيرات وسبل الحياة مع الله سمح للإنسان ان يتمتع بكل ما خلقه وصنعتة يده بما في ذلك التمتع بالأكل من ثمر شجرة الحياة لكنه حذره من الأكل من شجرة واحدة وهى شجرة المعرفة فسقط الإنسان في فخ الحية وتطلع إلى تلك الشجرة المنهي عنها وأكل منها ، لذلك كان لا بد ان يحقق الله عدله بتوقيع العقوبة على ادم وحواء والحية ، لذا حل الموت بالعالم من خلال الخطيئة ، وفي المسيحية بقدر ما يكون الموت مشكلة فإنه يكون جوهر الوجود ومكون له وهذا ما أدركته المسيحية في قول القديس بولس

هكذا نفذ الموت في جميع الناس (18) هذا معناه أن الموت عنصر من عناصر الوجود يعتبر مكون له، واستطاعت المسيحية أن تضع مشكلة الموت على أساس التناقض بين كونه خير وشر فقالت عن الموت أنه شر وقالت عن أنه خير أي أنه خير، أي أنه شر بوصفه ابن الخطيئة وهو خير من حيث أنه الوسطة المتناهي والامتناهي (19) إن مسألة صفة الخلود أهم من الخلود فالحياة الآخرة في عهد الجرير هي التي ترمز إلى عواقب الإيمان والكفر ، وأن وتنقسم إلى الجنة جهنم (20) ، وتشير إلى نوع وحالة الحياة التي سيجيها المؤمن أكثر مما تشير إلى زمانها إنها حياة الله في نفس الإنسان أن الحياة بكل مجدها وقوتها حيلة لا تحدّها حدود الأرض إنها حياة الشركة مع الله ، فالحياة الأبدية في صورتها النهائية ، تعنى : أن الله سيسكن وسط شعبه في أرض جديدة غير التي تعرفها والعذاب الابدي هو حالة من الخوف والشقاء والبوس والعذاب وهنا يقضى الأشرار ابديتهم فهو انفصال دائم وابدي عن الله وبالنسبة للدين الإسلامي فقد جاء ذكر الموت والعالم الآخر في أكثر من خمسين موضعا في القرآن الكريم من خلال تذكير الناس بالآيات التي فيها الموت والاستعداد له ونصحهم بالإفلات من مغريات الحياة الدنيا مادامت تنتهي بالموت، فالموت قضية حتمية بينية بنفسها عالجهما القرآن الكريم وجعلها حجر الزاوية في بناء الوعي بالحياة يهدى إلى الرشد ويقود إلى صلاح البشرية (21) فهو قضية مصيرية تشغل بال الناس عالجهما القرآن الكريم واهتم بها لأنها تقوم بتوعية الفرد وصلاحه، تذكيره بيوم موعود، يحاسب فيه الإنسان على أفعاله وأعماله، لذلك لا يمكننا نسيانه، فهو حقيقة مطلقة لا يمكننا إنكارها.

إن للكون خالق وإله واحد خالق قادر هو الذي خلق ما في الأرض والسماء، وكل شيء فيها يرجع إليه سبحانه وتعالى، وإليه تسيير الأمور الفرح والحزن والحركة والسكون والحياة والموت، فهو الذي يتحكم في كل شيء، ولا تسود إلا قوانينه -

سبحانه وتعالى- ، وقانون الموت أهم السمات المميزة للكائنات الحية التي تعيش على ظهر الكوكب والإنسان ليس استثناء قال - تعالى-: ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (22) ، والموت مقدر من عند الله ، ينهي قوة القوي وضعف الضعيف ، وينهي صحة الصحيح ومرض المريض ، ويُسوِّي بين الخلق جميعا فأَيُّ شيء عملته وفعلته في دنياك إذ ينتهي بك المطاف في حفرة ليس لها من فرار يأتي الموت ينهي كل شيء فجميع النفوس أسيرة قانون الموت بلا تخصيص أو تمييز فيهم الفعل كل النفوس لقوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (23) والقرآن الكريم يعتبر الموت مصيبة تحل بالإنسان في أي لحظة من حياته و يحتاج ذلك إلى صبر ورضا ، ولقد شبه القرآن الكريم الموت بالمصيبة بكل ما تحمله الكلمة من معانى لأنه يعي أن نفسا كانت تعيش بين أهلها وذويها ثم ترحل لتعيش في عالم آخر.

والموت وأهواله وعذابه وسكراته ومعاناته ومصيبة هي ختام المصائب التي تنتاب الإنسان في الدنيا لقوله - عز وجل - ﴿ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ (24) وما من حدث أشد واقعية من الموت ؛ لأن الإنسان لا بد أن يموت غنيا أو فقيرا قويا أو ضعيفا جاهلا أو عالما فهو يقوم على المساواة المطلقة بين جميع الناس دون تمييز أو تغيير فهو الحقيقة الحتمية التي لا مفر منها لاحد والحدث الواقعي الوحيد الذى لا شك فيه لأن وقوعه يقيني لأنك عند الموت تعرف اليقين والموت حق وليس نهاية الإنسان الأبدية ، وإنما هو بداية حياة دائمة لا تنتهى إلا كما أراد الله عز وجل (25) لذلك فهو الحقيقة المطلقة والحتمية التي لا ينبغي أنكارها فهو حق على كل إنسان وكل واحد منا سوف يلقي حتفه لذلك فهو نهاية الحياة الدنيوية وبداية حياة أخرى أي انتقال الإنسان من مرحلة إلى مرحلة أخرى .

والموت ينتظرنا وهو الحقيقة الموكدة في هذه الحياة وأنه مهما يطول الزمن فإنه سوف يفرق بيننا وبين الحياة، ففي أي مكان كنا فيه وأي مكانة كنا فيها وهذا وما أكده الله عز وجل في القرآن الكريم ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ (26) والبقاء لله الواحد الأحد واجب الوجود وواهب الوجود لقوله - تعالى - : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (27)

والحياة هي الموت "فالإنسان لا يؤجل التوبة إلى أن يكون على فراش الموت، فلا أحد يعرف متى يأتي الموت ومتى المرء أن يتوب اليوم قبل الغد، وعليه أن يرى الحقيقة وهو حي، لأنه يومها لا ينفع الإيمان إن لم تكن آمنتم من قبل وكسبت في هذه الإيمان الخير، فالإيمان والتوبة لا يكونان إذا جاء الموت ففي هذه اللحظة الطريق

يكون مسدود فإذا أحر الإنسان توبته إلى الموت لا توبة له فليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حظر الموت قالوا بأننا تبنا الآن (28)

- **طبيعة الموت وتأويله الفلسفي** : يؤكد جل الفلاسفة على أن الموت من طبيعة كلية مطلقة فجميع البشر فانون، ولهذا قيل: ان الموت يتبع مع البشر سياسة ديمقراطية تقوم على المساواة المطلقة، لكنه رغم هذا الطابع الكلي المطلق يحمل الشخصية الجزئية (29) ، فالموت من خلال هذه الطبيعة حقيقة حتمية لا مفر منها لاحد مهما علا شأنه في الدنيا فكل البشر يموتون والناس سواسية امام العدالة الإلهية فهو خاص بكل انسان يحمل طابع فردي وشخصي، وكل واحد منا سوف يلقى حتفه ولا أحد يستطيع ان يموت بدل الاخر، لان المرء لا يمكن ان يحمل عبئ الموت عن غيره، أي أيها الإنسان لا بد من ان تموت فمصيرك الفناء وليس الخلد، ولو كان الخلد يحق لأحد لكان الأنبياء أحق الناس بذلك ، فالموت حق على أي إنسان حي.

ومن طبيعة الموت انه يجمع بين النقيضين وعدم اليقين ، فنحن نعرف أننا سنموت وهذا أمر يقيني ؛ ولكننا نجهل متى سنموت، أو كما قال باسكال : إن كل ما أعرفه هو أنه لا بد لي من الموت عما قريب ؛ ولكنني أجهل شيئاً قدر ما أجهل هذا الموت الذي ليس لي عليه يدان (30)

ولم يخل عصر فلسفي دون أن يناقش فلاسفته المشكلة الميتافيزيقية ؛ ولأن المقام لا يتسع لذكرهم جميعا ، فإنني سأطرق إلى ذكر بعض النماذج التي تناولت الموضوع ، ومن ذلك موقف سقراط وتلميذه أفلاطون بالنسبة للفلسفة اليونانية القديمة، وهيكل كمثال عن الفلسفة الحديثة.

لم تكن نظرة فلاسفة اليونان للموت واحدة فهوميروس تحدث بانزعاج عن الموت واعتبره هو الشر الأعظم ، حيث يقول: أناشدك يا أوديسيوس ألا تتحدث برفق على الموت فلأن تعيش على الأرض عبداً لآخر خير من أن تحكم كملك لا ينازعه السلطان أحد في مملكة الأشباح اللاجسدية (31)

ولم يدرك الفلاسفة السابقون لسقراط أن الموت ضرورة حتمية لكل كائن حي على وجه الأرض، فالموت بدأ بالنسبة إليهم شيء مخيف ورهيب ، لأن الحياة جميلة وممتعة لديهم هذا ما نلمسه عند هوميروس الذي لم يعتريه خوفه أمام الموت، فنحن خلال (الهوميرية) وجدت الأورفية التي شقت طريقها إلى الفلسفة على يد فيثاغورس الذي علم تلاميذه تناسخ الأرواح وتطهرها في عجلة الميلاد، ثم اتحادها النهائي مع الله (32) ، وذلك يعني ان "الأورفية" مهدت لظهور التناسخ الذي يندرج ضمن المعتقدات الرئيسية لدى فيثاغورس، أي : أن روح الإنسان تنتقل عند موته إلى جسم آخر سواء

بشري أو حيواني، كان يعتقد أن الروح لا تموت وأن كل شيء يتحول وأن اتباع بعض التعاليم والطقوس الخاصة بالطهارة يؤدي إلى خلاص النفس، وهذا ما يسمى بعجله الميلاد ، أي : عودة الروح إلى بدن الإنسان أو الحيوان وهي فكرة تناسخ الأرواح الذي أخذ بها فيثاغورس، وأن النفس خالدة وأزلية، وبعد هذه المرحلة من التطهير تعود لتتحد مع خالقها.

وأما الموت بالنسبة إلى سقراط فيكون خيرا من الحياة (33) ، ومعنى هذا أن الموت ليس شرا ، لأنه رحلة إلى عالم أجمل وأنقى وأكمل إلى عالم لا شرور فيه ولا ظلم هنا يجد سقراط أن الموت خير لكي يعيش حياة خالدة.

لم يكن الموت مقصودا بذاته عند سقراط فما كان يهمله هو معرفة إذا كانت أفعاله على صواب أو خطأ ليس إذا كان يعاقب أم لا وحتى أصدر الحكم عليه بالموت قال: لكنني أشير إليها السادة إلى أن الصعوبة ليست جملة الهرب من الموت؛ لكن الصعوبة الحقيقية هي في تجنب ارتكاب الخطأ (34)

والموت أما يكون نوما بلا أحلام أو هجرة الروح إلى عالم آخر غير أن ما يؤكد هو أن خشية الموت لا أساس لها وأنه في ظل تأثير هذه الخشية فحسب يبدو الموت الشر الأعظم غير أنه كنوم لا تخلله الأحلام سيغدو الموت كسيدا لا نقاش فيه وأنه رحلة إلى موضوع آخر فأي شيء يمكن أن يكون أعظم من هذا ؛ ولكن يمكن أن يقتنع سامعيه بأن الموت لا يرهب (35)

ويحاول سقراط هنا أن يفسر الموت إما أن يكون عدما ولا يكون له إحساس كما هو الحال في حالة النوم، وإما أن يكون عبور وهجرة من هذا المكان إلى مكان آخر، فالموت هجرة النفس من الحياة الدنيا إلى حياة الآخرة، وسقراط يضع مستمعيه بين اختياريين إما أن يكون الموت هدم نوم بالأحلام إنه عبور وهجرة لعالم آخر.

أما بالنسبة لأفلاطون فلا يمكن فهم نظريته إلى الموت إلا من خلال نظريته لعلاقة النفس بالجسد فهذا الأخير عند أفلاطون يمثل سجن للنفس لا بد لها من التحرر منه ، ولا سبيل لهما إلى ذلك إلا الموت ، وبذلك يقول أفلاطون: إن الجسم هو سجن النفس وأن الموت ليس النهاية قد لا يكونها ولا يمكن أن يكونها (36)، فالموت عنده ما هو إلا انعتاق الروح من سجنها وعودتها من جديد إلى عالم الخلود فقد صور أفلاطون الموت كخلاص يسمح للنفس ان تتحرر من سجنها الجسدي وأن تعود إلى مصيرها.

وهناك عدة حجج يقدمها أفلاطون ليؤكد الخلود في محاوره فيدون وهي : "إن النفس توجد قبل الميلاد وهناك صور أو مثل خالدة ثابتة وأن النفس بسيطة وليست

مركبة، والنفس التي جوهرها الحياة ، وبالتالي هو نقيض الموت وللنفس لا يمكن أن تكف عن الحياة والحركة (37)

وهنا أفلاطون يقدم عدّة براهين على خلود النفس أنها بسيطة وليست مركبة ومن ثم فهي الهية لأن ما هو إلهي لا يكون ولا يفسد فإذا كان البدن يفنى فإن الروح خالدة لأنها أمر الله فالنفس هي مبدأ الحياة وماهيتها فما هو ضد الموت أي الحياة لا يمكن تصويره على أنه ميت وأن النفس لا تكف عن الحركة لأن حركتها من ذاتها إذن فهي لا تكون ولا تفسد وكل ما يتحرك بذاته لا يتولد من شيء آخر فهو مبدأ من التناقض أن يفسد المبدأ تلك حقيقتها وماهيتها ويمكن تعريفها بانها ما يتحرك بذاته ولذا فهي خالدة.

وقال عن الفلسفة إنها تأمل الموت ، ويعنى أفلاطون بهذا أن الموت هو الوسيلة التي من خلالها يكون الفيلسوف قادر على التفكير والتأمل لأن حياته قائمة على أساس ذلك ولا يستطيع أن يحقق ذلك إلا من خلال تحرير النفس من الجسد فلا بد من الخلاص من البدن ، أي : لا بد من الموت حتى سكون بمقدوره التأمل والتفكير ، وإذا كان الموت في نظر افلاطون كبوابة عبور ينتقل بها من حياة الروح في الجسم إلى حياة التأمل والتفكير أي عالم الصور (38) من خلال ما يقتضى الإقلاع والابتعاد عن كل ما هو حسي وما يمد بصلة للجسد هذا هو الموت عند افلاطون فهو شرط للمعرفة والمعرفة بالنسبة لأفلاطون لها أهمية ونتيجة لأنها مصدر قوة لذلك تعتبر تريبا فاعلا ضد الموت حقا اننا سنبقى بعد الموت رغم أي شيء ، ولكن بدون المعرفة تبقى في حال يقل عن مستوى الإنسانية ، وفي هذا إذلال وسيحكم علينا بشقاء نستحقه (39)

فالمعرفة لها إثر قوي وفعال في تصدى ومواجهة الموت لأنها مصدر قوة فهي بمثابة الحل أو العلاج الذي يكون هذا الموت، فبواسطة هذه المعرفة تنعم الراحة والطمأنينة وبدونها نعيش المعاناة والالام والشقاء في العالم الآخر.

في الأخير الموت عند افلاطون هو شرط المعرفة، ولكي تحصل النفس على هذا النوع من المعرفة النفسية لا بد لها من ان تحرر من الجسد بمعنى ان تنتقل من مستوى المعرفة الحسية إلى مستوى المعرفة النفسية.

ومن الفلاسفة الذين تطرقوا إلى موضوع الموت في الفلسفة الحديثة يمكننا أن نتوقف عند هيجل فلقد كان يعي الموت على نحو مؤلم عنيف إن القمة التي ينبغي تجاوزها هي الموت ؛ ولكن سواء كان الأمر متعلق بموت شخص نحبه أم بنهايتها الحتمية ، فقد أراد ان يتحلى بالشجاعة التي كانت بالنسبة له صفة ضرورية للفيلسوف الحق (40) وما تجدر الإشارة له ان هيجل كان يرى الموت على انه الشر الأعظم ،

لأنه يؤدي إلى الألم والمعاناة ، ولكن بالرغم من هذا نجد ان فلسفة هيجل لا تخاف الموت بشجاعة وتتحمله مهما كانت الظروف المعاشة وتقبله عن غير جزاء ، وفي هذا يقول ليست حياة الروح تلك التي تنأى بنفسها عن الموت وتتجنب الدمار وانما هي اليات التي تحمل الموت وتقبله في غير جزع وهي لا تظفر في حقيقتها الا حينما تجد ذاتها في يئس مطلق

فقد أراد هيجل ان يعالج الانفصال بين الموت والحياة ؛ ولكنه لا يعتبر نوع من الاتصال ، بل أراد ان يتجنب مواجهة هذا الاتصال، فما هو جديد عند هيجل ليس حمل الفكر على ان يعترف ويقر بواقعة الموت، ولكن الجديد محاولته جلب الموت إلى الفكر ذاته، فإذا لم يكن من الممكن ادخال الموت إلى الفكر فان الفكر لا يموت يصبح منطقة محصنة ضد الفناء وينتج من خلال معالجته لطبيعة الفكر هروب الإنسان من مواجهة الموت والتفكير فيه وتجاهله، ولكن بالرغم من محاولة الإنسان التغاضي عنه وتناسيه الا انه يجعلنا نفكر فيه رغما عنا.

يلعب الموت دورا مهما في الحياة الإنسانية ومواجهته تجربة أساسية تهدف إلى تحويل الإنسان من كائن حي إلى كائن قادر على وعي وإدراك ذاته وذلك عن طريق الرغبة والإرادة واعتراف الاخر به، ولا يحقق ذلك الا من خلال المجازفة والمخاطرة بالحياة لكي يثبت للأخر ان الحياة لا تهمة ولذلك يصبح الإنسان واعيا بذاته ، لأن الآخر يعترف ويقربه وما يرد هيجل اثباته أن الوعي بالذات لا يكون إلا عن طريق المجازفة (41)

ومن هنا تظهر جدلية السيد العبد الذي يرى فيها بعض الدارسين إنها تتضمن فكرة هيجل عن الموت وهذه الجدلية قائمة على المجازفة ، فاحدها يخاطر بحياته ويصبح سيدا أما الآخر يخاطر بحياته ويصبح عبدا ، وهكذا يستمر كل منهما في الحياة فهما شكلان من أشكال الوعي المستقل الذي يكون ماهية لذاته والآخر الوعي التابع الذي يسعى إلى العيش والوجود لغيره أحدهما السيد والآخر العبد فالأول أصبح واعيا بذاته لا يخاف الموت ومتعالي على الحياة ولا يقر بوعي آخر بالذات - أما الثاني وهو العبد الذي خاف الموت والذي خاف على حياته من العدم ، وهذا ما يولد النفي الخالص الذي يكمن داخل الإنسان (42)

المبحث الثاني - الموت كمشكلة واشكالية في وجودية عبد الرحمن بدوي

:

تدرج معالجة عبد الرحمن بدوي [1917-2002] لمشكلة الموت ضمن مسعاه لتأسيس ما يسميه مذهبا عاما في الوجود على أساس هذه المشكلة.

في بداية كتابه (الموت والعبقرية) يستهل حديثه بأشكلة الموت، فيبدأ بالتمييز بين الإشكالية والمشكلة، فيرى أن الإشكال هو الصفة التي تطلق على شيء يتضمن تناقضا في بنيته وتركيبته، بينما المشكلة هي محاولة تفسير الإشكالية وحلها بحيث يكون هذا التفسير صادرا عن بنية الشيء الاشكالي وجوهره، فالمشكلة هي ما يتضمن الشعور بالأشكال ومحاولته تفسير هذا الاشكال في الوقت نفسه (43)

والموت برأي بدوي يحوز على صفة الاشكال وذلك من الناحيتين الوجودية والمعرفية ، فمن الناحية الوجودية يعتبر الموت اشكالا لأنه أولا فعل يؤدي إلى القضاء على كل فعل ، وثانيا لأنه نهاية الحياة بمعنى انه انتهاء الإمكانيات وبلوغها النضج والاكتمال ، وقد تكون هذه النهاية قطعا لهذه الامكانيات في حالة عدم تحقق ، وثالثا ان الموت اشكال من الناحية الوجودية لأنه إمكانية معلقة ، على اعتبار انه لا بد ان يقع في يوم من الأيام وهذا الوقوع يقيني لاشك فيه، ولكن ثمة هنا مفارقة يطرحها بدوي : لدينا في ما يخص الموت علم مطلق وجهل مطلق في الوقت عينه - فمن جهة أولى الإنسان لديه علم مطلق ان الموت سيحدث ومن جهة أخرى لديه جهل مطلق في ما يتعلق بالزمان الذي سيحدث فيه وكذلك في ما يتعلق بكل حياته التي لا يستطيع المرء معرفتها من خلال موت الاخرين ،

ورابعا أن الموت إشكال ؛ لأنه حادث ذو كلية مطلقة من ناحية وذو جزئية شخصية من ناحية أخرى، ذلك أن الكل فانون، ولكن تجربة الموت تجربة فردية خاصة، وأن المفارقة الأخيرة هي التي تؤدي إلى جعل الموت إشكالا من الناحية المعرفية؛ إذ لا يمكن أن يدرك الإنسان الموت إلا انطلاقا من تجربة موته الخاصة؛ لأنه في حالة الموت ينبغي الإدراك كليا، وبالمقابل لا يمكن للمرء أن يدرك الموت إدراكا له في ذاته.

ويكون الموت مشكلة حينما يجد الإنسان هذا الاشكال ويشعر بمضامينه وبالمفارقات التي ينطوي عليها، ومعايشة هذا الاشكال لا بد ان تكون نابعة من أعماق الذات بوصفها ذاتا فردية مستقلة، وان هذه المعاشة لا بد ان تقتضي في نظر بدوي مجموعة من الشروط الذاتية والموضوعية.

فمن الناحية الذاتية يتوجب على الإنسان الذي يريد ان يعايش الموت كمشكلة ان يتكون إحساس عال بالذاتية والشخصية، ومن دون هذا الإحساس لا يمكن إدراك الطابع الأصلي والجوهري للموت.

فأدراك الموت مقرون بإدراكه من حيث انه موتى انا الخاص ولا يبلغ الشعور بالشمسية والوحدة درجة اقوى واعلى مما هو في هذه اللحظة لحظة الموت، لأنني انا الذي اموت وحدي، لا يمكن مطلقا ان يحل غيري محلى في هذا الموت (44) وهذا يتطابق مع رؤية مارتن هيدجر للموت، التي تقوم على اعتباره المعبرات الرئيسية، أي كلام حقيقي عن الموت لابد ان يكون كلاما شخصيا، فانا لا أستطيع ان أتكلم الا عن تجربتي الوجودية الخاصة التي يشكل الموت عنصرا ما هويا فيها (45).

الموت والاحساس العالي بالفردية

يعتبر بدوي أن الموت لا يمكن أن يكون مشكلة بالنسبة إلى الإنسان البدائي الساذج، لكونه يمتلك شعورا ضعيفا بالشمسية، بينما نجد أن من يكون لديهم الموت مشكلة هم على درجة عالية من الإحساس بفرديتهم ودرجة الإحساس هذه هي مقياس التحضر، حيث انه يماثل بين الافراد والحضارات فيما يخص الشعور بالموت والفردية فيقول: " نجد أن التفكير في الموت يقترن به دائما ميلاد حضارة جديدة، فإن ما يصدق على روح الأفراد يصدق كذلك على روح الحضارات" (46)

وبناءً على ذلك يعتقد أن كل إضعاف للشخصية من شأنه أن يشوّه حقيقة الموت، وهذا الاضعاف للشخصية إما أن يكون إفناءً لها في روح كلية وإما إفناءً لها في الناس، وهنا ينتقد المثالية الألمانية بشكل عام وفلسفة هيجل بشكل خاص، فيقول: إنها أفنت الشخصية في الروح الكلية وبأن الفرد في الفلسفة المثالية ليس له وجود حقيقي في ذاته؛ وإنما الوجود الحقيقي هو الوجود المطلق ولا قيمة وجودية للفرد إلا من حيث إنه جزء من الوجود المطلق، وعندما لم تحظ المثالية الألمانية الفرد أهمية كبرى فإنها قامت بحجب أهم المميزات الجوهرية للموت وهي الفردية، ولذلك ظلت هذه المثالية عاجزة عن تناول الموت بوصفه مشكلة. وتقضى فكرة الشخصية عند بدوي بالضرورة فكرة الحرية، فلا وجود لأحدهما من دون الآخر، وذلك لسببين:

السبب الأول: أن لا مسؤولية من دون شخصية ومن دون حرية
السبب الثاني: أن الحرية هي الاختيار ولا اختيار إلا بالنسبة إلى شخصية بعينها هنا ينتقل بدوي نقلة مهمة في تبيان نسق أفكاره حول مشكلة الموت؛ إذ انه يربط الموت بالحرية فيقول: إذا كانت الشخصية تقتضي الحرية، الموت يقتضي الشمسية، فإن الموت يقتضي الحرية (47)، حيث إن طبيعة كل من الحرية والموت تقوم على فكرة الامكانية؛ إذ أن قدرة الإنسان على الموت هي أقصى درجات الحرية عند بدوي هنا لابد أن نشير إلى أن بدوي قام بالربط بين فكرة العدم والحرية، إذ اعتبر أن العدم

داخل في تركيب الوجود، وهو الهوات الموجودة بين الذوات ، وبذلك يصبح أصل الفردية ، وبما أنه لا يمكن فصل الحرية عن الفردية ، فإن بدوي يعتبر العدم هو أصل الحرية (48) ، وانطلاقاً من مقولة أن الحرية هي القدرة على فعل الخير والشر ارتبط مفهوم الحرية بالخطيئة وعن طريق ارتباط الحرية بالموت من جهة، وارتباطها بالخطيئة من جهة ثانية.

كان الارتباط بين الموت والخطيئة بناء على هذه الفرضية يعتقد بدوي أن المسيحية استطاعت النظر إلى الموت على أنه مشكلة، وذلك عن طريق ربط الموت بالخطيئة بعد ربط الحرية بها واستند مقولته هذه إلى عبارة في انجيل بولس تقول بواسطة إنسان نفذت الخطيئة إلى العالم، وعن طريق الخطيئة نفذ الموت (49) وهكذا يعتقد أن المسيحية أدركت الموت كمشكلة ؛ لأنها توفرت على العناصر الثلاثة الرئيسية لهذه المشكلة وهي الشخصية والحرية والخطيئة.

وأما تصور الموت بوصفه مشكلة فإنه يشترط من الناحية الموضوعية إدراك أن الوجود بطبيعته يقتضى التناهي ، بحيث يكون الموت عنصراً مكوناً في الوجود داخلاً في بيئته الأساسية وجزئاً جوهرياً منه ، ويرى بدوي هنا اختلطت النظريات الوجودية والأخلاقية في رؤية المسيحية إلى الموت وانتهت بها الأمر إلى إهمال الأولى على حساب الثانية ، وقد انطوت نظرتها الأخلاقية للموت على تناقض صريح ، فقد اعتبره شراً بوصفه ابناً للخطيئة ، وخيراً من جهة أنه الوساطة بين المتناهي واللامتناهي، ولهذا لم تتمكن المسيحية من إدراك كنهه وحقيقته، حيث أصرت على النظر إليه بوصفه مضاداً للحياة ، ويعتقد بدوي أن نيتشه قام بما يجب فعله بهذا الصدد عندما جعل الموت جزءاً لا يتجزأ من الحياة ، ودعا إلى النظر إليه بوصفه نضجاً واكتمالاً للنمو فحسب ، وانما هو أيضاً أشبه بسيرورة تبدأ مع بداية الحياة على أنه موجود ومستمر منذ بداية الحياة ، لا ينفصل عنها اطلاقاً ؛ لكن الموت كما يعتقد بدوي يتجاوز أن يكون نضوجاً فحسب فهو يختلف من النضوج من جهة أن يبقى الكثير من الإمكانيات غير متحققة ، ولذلك يقول أنه يجب تفسير النهاية تفسيراً يجمع بين الوجود والموت من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا يفترض وجود الموت في الوجود أو الحياة على تصور تطور نحو غاية ، أي : أن الوجود يجب أن يفسر من جديد على أنه يقتضى من حيث جوهره الفناء ، وأن الفناء حالة وجودية يكون فيها الوجود منذ كينونته ، وهذا معناه إقامة مذهب في الوجود جديد على هذا الأساس وهذا ما حاولت ان تفعله فلسفة الوجود عند هيرجر تم يسبرز (50) .

الوجود ينقصه شيء باستمرار يحاول بدوي هنا أن يصل من داخل فلسفة هايدجر إلى جوهر مشكلة الموت ويمهد لها من خلال تقديم فهمه لماهية الذازين (51) فهو من حيث إنه هروب مستمر نحو تحقيق إمكانياته، هذه الإمكانيات غير قابلة للتحقيق هو حالة تأجيل مستمر، وفكرة التأجيل هذه ذات أهمية كبرى بالنسبة إلى مشكلة الموت، فهي تنطوي على معنى " ليس بعد" وهذا "ليس بعد" هو عنصر جوهرى في الوجود، معناه النقص أي ان هذا الوجود ينقصه شيء باستمرار، فهو إذن في حالة نقص مستمر (52) وان ليس بعد هو أعلى درجات الامكانية، ولكن هذه الامكانية ممتعة التحقق بالضرورة، فهي إمكانية عامة، وهي ما يسميه بدوي بأعلى إمكانية لأعلى امتناع، حيث ان هذا الامتناع امتناع مطلق.

وبناء على ذلك تكون الامكانية المطلقة للامتناع المطلق أو الامكانية المطلقة للإمكانية المطلقة هي الموت، وبما إنه حيث يكون وجود يكون بالضرورة موت، كما يعبر بدوي يجب ان نفهم اطلاقا من الموت ان الوجود منذ كينونته انما هو وجود لفناء (53) بناءات على ما سبق ما يعتبر بدوي ان المشكلة الحقيقية للموت تكمن في تناهى الوجود جوهرًا بيد أنه يقول ثمة مشاكل ثانوية قد تساهم في فهم المشكلة الحقيقية للموت، كالمشكلة النفسية التي تبحث في الشعور الإنساني نحو الموت، وكذلك يمكن دراسة الموت من الناحية التقويمية فيما إذا كان خيرا ام شرا لكن يشترط بدوي على الإجابة أن تكون مقترنة بالنتائج الميتافيزيقية الوجودية للمشكلة الحقيقية، ومن الممكن - أيضا - دراسة علاقة المنطق بالموت من حيث ان مشكلة الموت قامت بتقويض الفهم التقليدي لقانون عدم التناقض، وقد تدفع هذه المشكلة للبحث كذلك في مسائل الالهيات وصلتها بالموت، خصوصا كما يرى بدوي فيما يتعلق بوجود الله الخلق من الرابعة اقسام رئيسية: -

الأول بعنوان / ظاهريات الموت ويتناول الموت الناحية النفسية

والثاني بعنوان / تقويمية الموت ويتناول الناحية الأخلاقية

والثالث بعنوان / الهيات الموت

والرابع يتناول / الناحية الوجودية ويحمل وجوديات الموت وانتشار مثل هذا المذهب مشروط لديه بأن تكون الناحية الوجودية هي أساس في كل بحث ويقول إنه استهل هذا المشروع الفلسفي الذي لم يتم بناؤه بتحديد المعنى الحقيقي للموت بفضل هايدجر (54) ويقدم تبريرا حضاريا لقيام مذهب وجودي على أساس الموت مفاده أن الحضارة الأوروبية كما نعرفها في ذلك الوقت في افول، وأنا على نهوض حضارة جديدة ويجدر الانتباه هنا أن بدوي نشر هذا الكتاب ب سنة 1945م، أي : أثناء الحرب العالمية

الثانية وفي خضم هذا الأقول والفناء من الطبيعي أن يكون الموت في مركز التفكير وعلينا أن نتخذ منه نقطة انطلاقنا في محاولة فهم هذا الوجود ؛ لأن الحضارة تستيقظ في اللحظة التي تتجه فيها بنظرها إلى الموت اتجاها يكشف لها عن سرّ الوجود (55)

الخاتمة:

بالرغم من أن بدوي لم يخرج في معالجته لمشكلة الموت عن الأفق الذي رسمه (مارتن هايدجر) لها، إلا أننا نجد المقاربات التي قدمها بطريقة عرضه وإن كانت مؤسسة على فلسفات هايدجر وإسبرز وشنجلر – فعلا فلسفيا أصيلا يعكس فهما عميقا للفلسفة الوجودية عامة ولفلسفة هايدجر خاصة.

نجد أن رؤية عبد الرحمن بدوي لمشكلة الموت في كتابة الموت والعبقريّة تتقاطع إلى حدّ بعيد مع رؤيته لمشكلة العدم في كتابة الزمان الوجودي على وجه التحديد من حيث علاقة الموت والعدم بكل من مسألتي الحرية والفردية.

كما يرى – أيضا- أن الموت كإمكانية يقضى على إمكانيات أخرى بمعنى : الموت إمكانية تنهى أهداف وطموحات الإنسان الأخرى وهذا الإنهاء اما يكون لإمكانات تحققت بالفعل أو إمكانيات في طور التحقق أو انه لم يتحقق منها شيء بعد.

أيضا يرى أن الموت إمكانية للوجود أي أن الموت ليس من خارج نسيج الوجود ؛ بل هو إمكانية الدخول في صلب الوجود والموت هو حدث عام يجري على الجميع وفي نفس الوقت هو التجربة الذاتية الفردية الأكبر للإنسان في وجود أي لحد يستطيع أن ينوب على أحد في هذه التجربة.

الموت يحمل هذا التناقض بوصفه معلوم ومجهول في آن معا ، طبعاً معلوم أننا نرى الموت كل يوم لمن يموتون قبلنا ؛ ولكن من جهة الموت مجهول ، لأننا لا ندرك الموت في حد ذاته أي اننا نرى أثر الموت على الناس الذين يتوفاها الأجل ؛ ولكننا لا نعرف الموت في جوهره أو حد ذاته.

ويصبح الموت مشكلة عندما نحاول الهروب من التفكير في الموت ونسيان حقيقة إننا ميتون وهذا الهروب يراه بدوي يضعف من شخصية الإنسان وسيسلب منه الفردية والحرية ويصبح مجرد كائن موجود متعرب ومنسلخ من ذاته وحرية بمعنى إذابة كيانه الفردي في أحد كيانين ، إما كيان روحي كلي – أو عقيدة دينية أو أيديولوجية ولن يعود له رأي أو جهة نظر شخصية ، ولن يعد له أن يملك تلك الحرية والفردية الذاتية في كل آرائه وتصرفاته ، وإما ان يفنى هذا الأساس شخصيته في الناس في الآخرين ينغمس في مشاكل الحياة وانهماكاته السطحية التي لا تنتهي وفي كلتي الحالتين سيفقد هذا الإنسان جانبه الفردي الشخصي والذاتي والأهم سيفقد حريته

لذلك يرى أننا لا يمكن أن نتعامل مع الموت إلا في حدود الشعور القوي بالشخصية والذاتية والحرية فعندما نفكر بالموت كتجربة ذاتية فردية أصيلة وإمكانية أخيرة و هنا بحسب بدوي أستطيع أن أقدر قيمة الزمن ، ويمكن السعي لتحقيق الطموحات والأمنيات التي تستحق أن تعاش وهذا الأمر لا يمكن أن يتحقق في غياب الشعور بالذاتية والفردية والحرية ؛ إذ لا شخصية حيث اللاحرية وللموت كما نستخلص مما سبق أيضا أن للموت جانب ذاتي يتعلق بالحرية والفردية والخطيئة وجانب موضوعي الجانب المحكوم عليه بالنتاهي والفناء والموت الحتمي بذلك يصبح الموت عنصر مكون للحياة والوجود معا وليس أي مصاد لهما الموت كإشكالية يصبح مركز للتناقضات والمتعارضات الكثيرة جدا فأولا الموت نهاية الحياة – والحياة فعل والموت فعل بذلك يصبح امام فعل متناقض أو فعلين متعارضين أو فعل يقضى على فعل بمعنى ان الموت كفعل يقضى على الحياة كفعل أيضا .

في ظلّ هذا الفهم ، فالموت حالة فردية ذاتية شخصية الشعور القوي بالحرية والتخلص من المخاوف يمكن الفرد من القدرة على الابداع والابتكار.

النتائج :

- 1- هناك بعدان رئيسيان يحكمان رؤية بدوي لمشكلة الموت :
أ -البعد الوجودي الذي يستمد من تصورات فلسفة هايدجر لمشكلة الموت
ب – البعد الحضاري الذي يعتمد بشكل مركزي على مقولات فلسفة شبنجلر في مسألة موت الحضارة
- 2- مشكلة الموت عند بدوي تتقاطع إلى حد بعيد مع رؤيته لمشكلة العدم في كتابه الزمان الوجودي وتحديداً من حيث علاقة الموت بالعدم لكل من مسألتي الحرية والفردية
- 3- الموت إمكانية يقضي على إمكانيات أخرى -الموت إمكانية ينهي طموحات الإنسان الأخرى
- 4- الموت التجربة الذاتية الفردية الأكبر للإنسان في وجوده فلا يستطيع أحد أن ينوب على أحد في هذه التجربة
- 5- الموت يحمل تناقضا معلوم ومجهول في آن معا فحن نرى الموت كل يوم لمن يموتون قبلنا – ولكن من جهة الموت مجهول ؛ لأننا لا ندرك الموت في ذاته
- 6- الموت يصبح مشكلة عند ما نحاول الهروب في التفكير في الموت ونسيان حقيقة اننا ميتون لأن هذا الهروب يضعف شخصية الإنسان ويسلب منه الفردية وينسلخ من ذاته

- 7- للموت جانب ذاتي يتعلق بالحرية والفردية والخطيئة – وجانب موضوعي المحكوم عليه بالتناهي والموت والفناء
- 8- الموت حالة فردية ذاتية شخصية الشعور القوي بالحرية والتخلص من المخاوف يمكن الفرد من القدرة على الإبداع والابتكار

الهوامش :

- 1- ابن منظور: لسان العرب -دار المعارف – مادة الموت- ج55-المجلد 6- ص 4294-4296
- 2- الراغب الاصفهاني: المفردات في غريب القرآن -ص616
- 3-سورة الحديد: الآية 17
- 4- سورة مريم: الآية 23
- 5-سورة الانعام: الآية 122
- 6-سورة النمل: الآية 80
- 7-الراغب الاصفهاني: المفردات في غريب القرآن -ص616-617
- 8- سورة الانعام: الآية 60
- 9- جميل صليبا: المعجم الفلسفي -مادة الموت -ج2-دار الكتاب اللبناني -بيروت -1982- ص 440
- 10- وهبة مراد: المعجم الفلسفي -مادة الموت -دار قباء الحديثة -القاهرة -2007- ص 630
- 11- الزيني محمد عبد الرحيم: حقيقة الموت بين الفلسفة والدين – دار اليقين للنشر والتوزيع -مصر ط1- 2011- ص66
- 12 -محمود مصطفى: لغز الموت -دار المعارف -القاهرة -ص45
- 13- حسبية مصطفى: المعجم الفلسفي -مادة الموت- دارا سامة للنشر -عمان-ط1-2009- ص609
- 14 - مولا علي: الموسوعة العربية الميسرة -ج6-مادة الموت -المكتبة العصرية -بيروت -ط1-2010- ص 3260
- 15- عبد الحميد شاكرك: ليس لهؤلاء في الموت امل – مجلة الثقافة الهيئة العامة لقصور الثقافة -العدد282مارس- 2014-ص 24
- 16- عبد الحميد شاكرك: ليس لهؤلاء في الموت امل -مرجع سابق ال عدد282مارس -1014
- 17- شوربون جاك: الموت في الفكر الغربي – ترجمة كامل يوسف حسين – عالم المعرفة -الكويت -1984- ص93
- 18- فريزر جيمس: فولكلور في العهد القديم -ترجمة نبيلة إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – 1972- ص47
- 19-بدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة -ج1- المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ط1 -1984- ص303
- 20 – بدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة – مرجع سابق – ص303
- 21- توبين ارنولد واخرون: الإنسان وهموم الموت – ترجمة عزت شعلان -المركز القومي للترجمة - القاهرة- ط1 -2011- ص 188
- 22- الزيني محمد عبد الرحيم -حقيقة الموت بين الفلسفة والدين – مرجع سابق -ص37

- 23- سورة الواقعة: الآية 162
24- سورة آل عمران: الآية 185
25- سورة المائدة: الآية 106
26- عبد العظيم محمد: الموت كيف نفهمه ونعمل له - دار الصحابة - طنطا - ط1 - 1993 - ص17
27- سورة الجمعة: الآية 8
28- سورة الرحمن: الآية 26
29 - نقلا عن صليبا جميل المعجم الفلسفي -مرجع سابق -ص 414
30- إبراهيم زكريا: مشكلة الحياة -دار مصر للطباعة -القاهرة -ص 164
31- إبراهيم زكريا: مشكلة الحياة -مرجع سابق -ص171
32- شوربون جاك: الموت في الفكر الغربي -مرجع سابق -ص 33
33- شوربون جاك: الموت في الفكر الغربي -مرجع سابق -ص 35
34- شورون جاك: الموت في الفكر الغربي -مرجع سابق -ص 47
35- كارس ب جيمس: الموت والوجود - مرجع سابق -ص 27
36- طرابيشي جورج: معجم الفلاسفة -دار الطليعة - بيروت -ط 3- 2006- ص 485
37- بدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة -مرجع سابق - ص 303
38- كارس ب جيمس: الموت والوجود -مرجع سابق -ص 27
39- شوربون جاك: الموت في الفكر الغربي - جامع سابق -178
40- شوربون جاك: الموت في الفكر الغربي - مرجع سابق - ص 457
41- هيجل: علم ظهور العقل - ترجمة مصطفى صفوان - دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت - ط 1 - 1981- ص 144
42 - هيجل: علم ظهور العقل - مرجع سابق - ص 145
43- بدوي عبد الرحمن: الموت والعبقرية -القاهرة -مكتبة النهضة المصرية- 1945-ص 3
44-- كاز ب - جيمس - الموت والوجود - دراسة لتصورات الفناء الإنساني في التراث الديني والفلسفي العالمي - ترجمة بدرديي - الكويت المجلس الأعلى للثقافة 1998 - ص549
45- بدوي - عبد الرحمن، الموت والعبقرية مرجع سابق - ص 5
46- بدوي - عبد الرحمن، الموت والعبقرية- مرجع سابق -ص7
47 - بدوي عبد الرحمن - الزمان الوجودي - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية 1945. ص 208
48 - انظر: بدوي عبد الرحمن - الموت والعبقرية، مرجع سابق - ص 8
49 - انظر: بدوي عبد الرحمن - الموت والعبقرية، مرجع سابق -ص 11
50- بدوي عبد الرحمن - الموت والعبقرية -مرجع سابق -ص 14
51 - بدوي عبد الرحمن - الموت والعبقرية - مرجع سابق - ص15
52- بدوي عبد الرحمن - الموت والعبقرية -مرجع سابق -ص 16
53- بدوي عبد الرحمن -الموت والعبقرية - مرجع سابق - ص 17
54- انظر بدوي عبد الرحمن -الموت والعبقرية -ص 16-17
55- انظر بدوي عبد الرحمن - الموت والعبقرية ص 18